

## الوافي في الوفيات

ومن توابع الرمد التي كانت وافيًا تُضيق أنفاسه وتُصدِّع رأسه الخرقاة السوداء التي كانت كأنها لعنةٌ وافيًا على الكافر وفرار الأطباء إلى غمس الرجلين في الماء الفاتر وكل منهما لا يُغني نقيراً ولا فتيلاً ولا ينفع كثيراً ولا قليلاً ولكنها استراحة من طيبه مُستراح وسلاح من لا له سلاح وأما اللين الذي يُغسل به العين ووَضَره وزَبَق البيض وزَفْرُه والقِطنة التي تُوضع على الجفن لترفعه وهي وافيًا تطمئنه فنعود بافي السميع العليم ولا تسأل عن أصحاب الجحيم وأما العُودَ اد فرأى المملوك منهم فُذُّونا وعَلَّاقَ من ألفاظهم عيوناً فمنهم من يحضر شامتاً ومنهم من قد أنعم وافيًا عليه لو كان صامتاً ومنهم من يقول وافيًا يكفيك ويُحميك بضم الياء ومنهم من يقول وافيًا يُغنيك عن الإعادة والنادرة التي لو سمعها ابن المعتز لسلك سبيلها في البديع ولو رآها الصنوبري لوصفها إذ يظنها زهرةً من زهر الربيع قول بعض السابقين في ميدان التخلُّف والواصلين للدرجة العُلِّيا من الكُلِّفة والتكُلِّف وقد رأى عين المملوك والمجلس حافلٌ حاشد وجميع الحاضرين لما قاله ساعٌ وبه شاهد فبُهِتَ وشكَّ وأراد الكلام فتقيَّدَ لسانه ورام الإقدام على النطق فجبَّ جَنَانَه ثم تشجع فلم يُفتح عليه إلا بأنَّ قال : يا مولاي هذه العين تزول فقال المملوك : زاه زاه ما غلَّت وافيًا رمدتي بهذه الواحدة ولقد كان يجرب أن أسألَ الرُّمد أن يشرفني بالحضور من هذا الرمد وإن تعجبه نورها وضيائها وكيف لا تظماً وقد أقلعت عنها من بركة قُربه أنواؤها وكيف لا تَسخن وقد تقلَّصت عنها ظلالُها وفاءً أفاؤها وما كانت سلامتها السالفة إلا بنظرها لطلعت الميمونة ولاكتحالها بغبار مَوَكبه الذي السعادةُ به مقرونة والصحةُ به مضمونة لا مظنونة وما فرج وافيًا عنه إلا بأدعية مولانا التي تُخلِّصُه كل وقتٍ من العقابي والعقبات وتحرسه من بين يديه ومن خلفه بمعقباتٍ وما أذهب عنه غَيَّرَ رَمده وكمل له عافية جسده إلا سعيه إلى الدار الكريمة وتقبيل الأرض بين يدي سيِّدنا الأجلَّ الأشرف أعلى وافيًا قدره وإمرار يده الشريفة على مقلته وجلا ناظره بنور غُرتِه وتهنئته بهذا الشهر الشريف عرف وافيًا مولانا بركة أيامه وأعانه على ما فرض على نفسه من صيامه وقيامه وأراه فيه من البركات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وجعل من نعمة عليه فيه الصحة التي لا طمحت نفسُ الأمراض إلى زوالها عنه ولا طمعت وألبسه فيه العافية فإنها أشرف لباس ولا نَزَع عنه سراويلها فإنها التي تقي الحُرَّ وتقي البأس وتقبل وافيًا فيه أدعيته ولو قال : وأدعية الخلائق فيه لكان قد خلط الأعلى بالأدوَن ومزج الأعرز بالأهون لأن أدعيته أدام وافيًا أيامه يحملها الروح الأمين وتكتبها ملائكة اليمين وتتعطر بها أفواه المقربين وتَرِدُ

حظيرة القدس فلا يضرب دُونَهَا حجاب وتَصِلُ إلى جنة عَدْنٍ فتجدها مفتحة الأبواب ولا يقصِدُ بها الدار الأخرى ولا يبتغي بها الحياة الدنيا ولا يرجو بها إلا أن تقربَّ به إلى الله زُلْفَى وأدعية الخلائق له وإنما هي لأنفسهم لأنَّ بقاءَهم معذوق ببقائه وسلامتهم مرتبطة بسلامة حوبائه وأرزاقهم واصله إليهم من نعم ويعود إلى تمام حديث رَمَدَه وإلى بـِشارة مولانا بأنَّ شفاعته أدعيته له قد قُبِلت وأنَّ بركة هذا الشريف قد عادت عليه بعوائد فضل ربه وفكَّته ناظره من إसार كَرَبه إنَّ ربي لطيفٌ لما يشاءُ إنه هو العليم الحكيم وما سطر خدمته إلا بعد أن زال أَلَمُها وانفش وَرَمَها وخمدت جَمَرتُها وذهبت حُمَرتُها وظهر إنسانها وجفت أجفانها ورقأت دموعها وعاد إليها هُجوعُها وكملت بحمد الله صحتها ونَقَيت بحمد الله صَفَحَتها وقد ذخرها المملوك ليَفديَ بها مواطء مولانا إن رضا لِفدائه أو أن يهدَّها لمن يُبشِّرُه بإيابه ويهنئه بلقائه وجعلها سراجاً يهتدي به إلى تسطير مدائح مولانا وتحبيرها وتصنيف سيرة دولته الفاضلية وتفسيرها وتاب إلى الله أن ينسُب إلى عينه ما يدعيه الشعراء في شعرهم وينحوه الكتاب في نثرهم من أن نومها مفقود وأن هُدَّ بها بالنجم معقود وأنَّ جفنها بالسهاد مكحول وأن سوادها بالدمع مغسول وأن ربَّعها بالقذى مأهول أو أنها رأت الطيفَ وما كانت رآته أو قرأت ما في وجه الحبيب وما كانت قرأته إلى غير ذلك مما يُزخرفونه